

أضواء البيان

@ 62 @ .

وقد جاء في الحديث المشهور (افتراق اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافتراق النصارى إلى اثنتين وسبعين فرقة ، وافتراق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة ، وأن الناجية منها واحدة ، وهي التي كانت على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه) . قوله تعالى : { كَذِبُوا عَلَى الْمَشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ } . بين جل وعلا أنه كبر على المشركين أي شق عليهم وعظم ما يدعوهم إليه صلى الله عليه وسلم من عبادة الله تعالى وحده ، وطاعته بامثال أمره واجتناب نهيه ، ولعظم ذلك ومشقته عليهم ، كانوا يكرهون ما أنزل الله ويجهلون في عدم سماعه لشدة كراهتهم له ، بل يكادون يبطلشون بمن يتلو عليهم آيات ربهم لشدة بغضهم وكراهتهم لها . .

والآيات الموضحة لهذا المعنى كثيرة في كتاب الله ، وفيها بيان أن ذلك هو عادة الكافرين مع جميع الرسل من عهد نوح إلى عهد محمد صلى الله عليه وسلم . .

فقد بين تعالى مشقة ذلك على قوم ونوح وكبره عليهم في مواضع من كتابه كقوله تعالى : { وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَذِبٌ عَلَيْكُم مِّمَّا قَامُوا وَتَذَكَّرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَاعْلَى اللَّهُ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ } . وقوله تعالى عن نوح { وَإِنِّي كُنتُ مِمَّن دَعَاؤُهُمْ لِيَتَّخِذُوا مِنِّي آلِهَةً مِّمَّن آصَابَهُمْ فَيَدْعُوهُمْ إِذِ انبأَهُمْ وَأَسْتَعْشِرُوهُمْ أَثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوهُمْ } . .

فقوله تعالى { جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِدَاءَ آذَانِهِمْ وَأَسْتَعْشِرُوهُمْ أَثِيَابَهُمْ } يدل دلالة واضحة على شدة بغضهم وكراهتهم لما يدعوهم إليه نوح ، فهو واضح في أنهم كبر عليهم ما يدعوهم إليه من توحيد الله والإيمان به . .

وقد بين الله تعالى مثل ذلك في الكفار الذين كذبوا نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم في آيات من كتابه كقوله تعالى { وَإِذْ أَتَى الَّذِينَ كَفَرُوا آيَاتُنَا بِآيَاتِنَا تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ السَّادِّينَ كَفَرُوا وَالْمُنْكَرِ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ آيَاتِنَا } . قوله تعالى : { تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ السَّادِّينَ كَفَرُوا وَالْمُنْكَرِ } الآية . يدل دلالة واضحة ، على شدة بغضهم وكراهيتهم لسماع تلك الآيات . .

وكقوله تعالى : { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا

الْقُرْءَانَ وَالْغَوَاةَ فِيهِ . { لَقَدْ جِئْنَاكُمْ
بِالْحَقِّ وَاللَّائِنِ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ